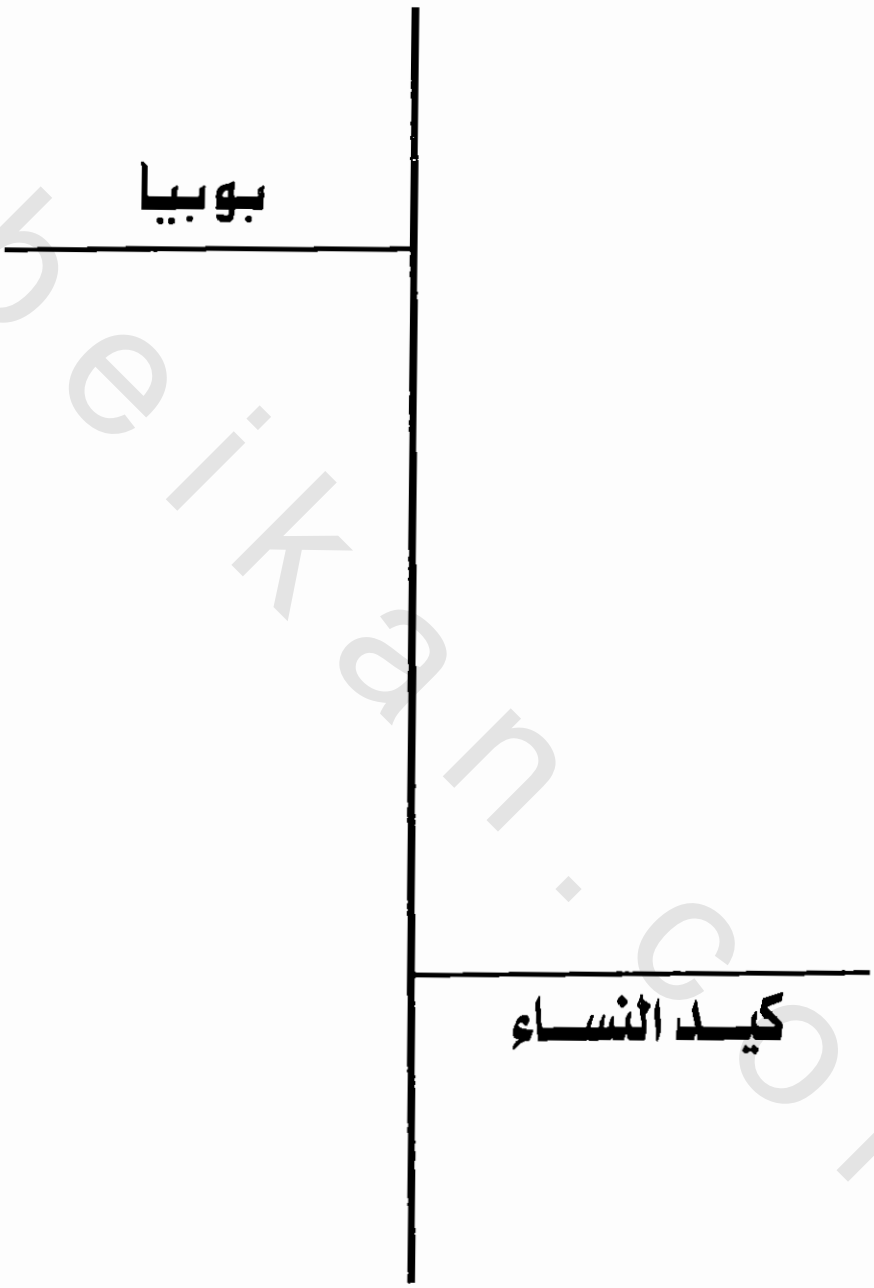

obeikan.com

obeikan.com

بوبيا
"إمبراطورة المكائد"

سحرت "بوبيا" بفتنتها كل من رآها من نبلاء وأشراف روما لكنها لم تكن تحلم بالحياة في أحد قصور روما زوجة لأحد نبلائها ، بل كانت تحلم فقط بحياة البذخ والترف والمغامرة .

بحثت "بوبيا" في المحيطين بها فوجدت ضالتها في "أوتو" أحد أصدقاء "نيرون" أو مرافقيه وكان واسع الثراء ، ولم تهتم بأنهم يطلقون عليه زعيم اللصوص الصعاليك ، فالمال الذي يحقق لها أحلامها هو كل ما يهمها و "أوتو" يملك هذا المال .

كانت "بوبيا" تعلم أن الإمبراطور الشاب يأخذ حاشيته ومنهم "أوتو" ويخرجون ليلا وهو متخف في زى خادم ليعيثوا في الأرض فسادا يسلبون ويقتلون ويروعون الناس معربدين في كل مكان يحلون فيه حتى ينتهون في إحدى الحانات لقضاء ما تبقى من الليل لينطلق نيرون - الذي كان يتصور نفسه أعذب أهل الأرض صوتا - في الغناء وتشرق الشمس عن عربدتهم ونهبهم وقتلاهم المضرجون في دمائهم بشوارع روما .

ربما لم تكن "بوبيا" تعلم بما يفعلونه ولكن قرب "أوتو" من الإمبراطور هو الذي دفعها للتقرب من "أوتو" ثم الزواج منه بعد ذلك .

سعدت "بوبيا" حين عملت بعربدة "نيرون" وفجوره وازدادت سعادتها أكثر حين علمت أنه لا يتورع أن ينال من تعجبه من النساء لأنه سوف يفتح لها الطريق للوصول إلى مسعاها وتحقيق حلمها أن تكون إحدى عشيقاته .

تخمرت الفكرة في رأسها ورأت أنها جديرة بأن تكون أكثر من

عشيقة للإمبراطور وكان يلزمها لتحبك مكيدتها بشكل جيد أن تكون لديها المعلومات التي تساعدها في نجاح تلك المكيدة ، ولم يكن هناك مصدر أفضل من زوجها الذي يرافق الإمبراطور والذى لم يكن ليمانع في ذلك ، وبدأت بوبيا تستفسر من زوجها عن ما لا تعرفه من شخصية الإمبراطور حتى تحكم خطتها للنيل منه أو نيله .

وبدأت تنفيذ خطتها بإثارة حفيظة الإمبراطور عن طريق المحيطين بالإمبراطور بالتحدث عنها أمامه ورأت أن غموضها هو السبيل إلى ذلك ، فامتنعت عن الخروج وابتعدت عن الأنظار حتى تثير فضولهم وكانت إذا أرادت الخروج تخفى وجهها بقناع ثقيل يخفيها عن الأنظار حتى لقبت بالمقنعة الغامضة .

كانت أم الإمبراطور "آجرين" يكرهها كل من في القصر لتسلطها وجبروتها وشهوتها للحكم وقد جعلها ذلك تبعد زوجة الإمبراطور عن القصر وتدفعه للانغماس في الملذات والشهوات لتنفرد هي بالحكم .

وجدت بوبيا في ذلك مصلحة لها فلاشك أن المحيطين بالإمبراطور يريدون وجود امرأة أخرى تكون في مواجهة أم الإمبراطور ويا حبذا لو استطاعت أن تقهرها وتحد من تسلطها فما المانع أن تكون هي هذه المرأة .

أما المحور الثالث فهو عدم حرص زوجها على حرمة بيته رغم علمه بأخلاق الإمبراطور حيث كان يتحدث عن جمال زوجته الذي لا يعرفه ولا يراه أحد غيره وكان هذا الحديث يصب أيضا في خدمة مخططها حيث أنه يثير شغف الإمبراطور لكشف الأستار وحل لغز المرأة الغامضة ، وساعدها في ذلك دفع المحيطون به نحو هذا الهدف بعد زرع الفكرة في رأسه ، وحتى يزداد شغف الإمبراطور وتدفعه دفعا نحو هدفها

قابلته مقنعة لا يظهر منها سوى عينان قد شهرت أهدابهما للفتك بقلب الإمبراطور ودك حصونه وتزداد رغبته في معرفة ما وراء ذلك القناع .

وهكذا نجحت خطة "بوبيا" وزارها الإمبراطور في غياب زوجها لكنها لم تخلع قناعها أيضا في ذلك اللقاء لتزيد النار اشتعالا في قلب الإمبراطور ، ورغم ذلك لم تكن تحرمه من دلالها لتثير لعابه ولم يكن يفوتها أن تمنيه بكل ما يريد ، ثم تتظاهر بأن وفاءها لزوجها يمنعها من ذلك ويقتل فيها رغبتها المشتعلة إليه .

المحور الرابع للخطة إزاحة (أوتو) الذي لم يكن من وجهة نظرها سوى جزء من خطتها لتصل إلى الإمبراطور الذي شعر هو بذلك ورأى أنه قد آن الأوان لإزاحة أوتو فأرسل إليه ولم يكن اليوم كأى يوم ، ولا الطلب كأى طلب - إنه يطلب منه أن يترك له زوجته - ولم يكن يستطيع الرفض أو حتى الاعتراض رغم أنه يطلب منه تركها له بالخروج من حياتهما فقط ولكن بالخروج من الدنيا بقطع شرايين يده وعدم رفضه أن أمر الإمبراطور يعنى أنه إذا لم يفعل ذلك سيكون قد عصى الإمبراطور وقد يسبق الموت التعذيب المبرح وقد يكون الموت بطريقة أبشع .

وهكذا انتهت حياة "أوتو" بنهاية دوره في خطة "بوبيا" وذهب الخلاص إليها بعد الخلاص من "أوتو" ممنيا نفسه بنيل ما عجز عنه في الفترة السابقة لكنها ألقت في وجهه بسبب آخر يؤجل فوزه بها وهو الإمبراطورة الأم المسيطرة على القصر والتى تقوى من موقف زوجته "أوكتافيا" وتساندها .

كان ذلك هو المحور الخامس في خطة بوبيا - أو مكيدتها - وانساق الإمبراطور الولهان وراء شهواته لتجعله هو الآخر جزءا من خطتها أو أداة لتنفيذ رغباتها ، ولم تكن الضحية هذه المرة بسيطة بل أقوى امرأة في

البلاد "الإمبراطورة" الأم .

دفعت الإمبراطور رغبته الجامحة للنيل من بوبيا إلى تدبير مكيدة تخلصه من أمه الإمبراطورة وشرع في التنفيذ ، عرض عليها الذهاب إلى جزيرة جميلة في عرض البحر للاحتفال بعيد منيرفا ، وذهبت الإمبراطورة معه إلى الحفل وبعد نهاية الحفل أوصى قائد السفينة التي كان من المفترض أن تعيدها إلى القصير في بحيرة لوكرين أن يُغرق السفينة ويعود ببحارته في زوارق النجاة ، وشعرت الإمبراطورة "آجرين "أن هناك مؤامرة على حياتها حين رأت السفينة تسير إلى عرض البحر وتتقاذفها الأمواج وأن القائد لا يعيرها اهتماما في حين يحرص على إنقاذ بحارته ، فألقت بنفسها إلى البحر في الوقت الذي تغرق فيه السفينة ، وحاولت إحدى الجوارى اللاتى كن على سطح السفينة أن تنجو فادعت أنها الإمبراطورة وكان جزاؤها الذي كانت ستناله الإمبراطورة الحقيقية ضربة بالمجداف على رأسها ليغرقها ، ويخبر الجمع أن الإمبراطورة غرقت لكنها كانت قد سبحت إلى الشاطئ ونجت .

كانت المفاجأة مذهلة حين حضر إلى الإمبراطور رسول الإمبراطورة ليخبره أنها نجت وأنها بخير ، وهكذا أفسد الخبر ليلته مع بوبيا التي أخبرها بالخلاص من أمه في تلك الليلة لينال منها بعد أن يكون قد لبى لها كل ما طلبته منه .

وحتى لا تفسد خطته قفزت إلى رأسه فكرة جهنمية بتدبير مكيدة سريعة للوصول إلى هدفه فألقى بسيفه بين قدمى الرسول وصرخ طالبا النجدة فأسرع إليه حرس القصر يلقون القبض على رسول الإمبراطورة الذي ادعى الإمبراطور أنه جاء لقتله بأمر الإمبراطورة ، وذهب أحد الضباط ومعه مجموعة من الجنود فأدركت الأم أنه جاء بأمر الإمبراطور لقتلها فهتفت فيه:

– إن كنت تبغى شرا فعجل به ولتمزق أحشائى التي حملت ابنى العاق ذات يوم .

وبالفعل قتل الضابط الإمبراطورة وأشاع نيرون أن أمه الإمبراطورة أرادت قتله للسيطرة على العرش ، فلما انفضح أمرها آثرت الانتحار – وهكذا أخذت الإمبراطورة دورها في طابور الدم تحت قدمى بوبيا – وأعلن الإمبراطور الحداد وتظاهر بالحزن والأسى أمام شعبه ، لكنه كان يشعر بالراحة لإزاحته الإمبراطورة والخلاص منها تنفيذا لرغبة "بوبيا" ولم يبق غير زوجته "أوكتافيا" التي فقدت سندها بموت أمه لكن "بوبيا" لم ترحمها وأخذت تحرضه عليها حتى أبعدها عن القصر منفية مرصودة الحركة والأنفاس من حاشيتها وكانت حجته في إبعادها هو عقمها .

وهكذا لم يعد لدى "بوبيا" سبب للتمنع على الإمبراطور الغارق في هواها ، ولم تمض سوى أيام على إبعاد "أوكتافيا": ومقتل أمه حتى أقام الإمبراطور الأفراح الملكية وأعلن "بوبيا" إمبراطورة لروما .

لم تكد تفرح ببلوغ هدفها بفضل مكائدها المتوالية المحكمة حتى اندلعت مظاهرات الشعب الغاضب تحطم تماثيلها وتطوق تماثيل ضرتها بالزهور بسبب مجون الإمبرطور وبطشه الذي ازداد بعد زواجه من "بوبيا" واضطر الإمبرطور لتهدئة الشعب الثائر إلى إعادة أوكتافيا من منفاها وتلقاها الشعب الذي يحبها بالهتاف والغناء .

دفع هذا الموقف بوبيا إلى التفكير في الخلاص من ضرتها وبالطبع كان سلاحها في ذلك هو السلاح الذي تجيد استخدامه ببراعة "الكيد" .

سيّرت مظاهرة زائفة بأن دفعت لأعوانها الأموال لاستئجار بعض ذوى النفوس الضعيفة للهتاف وتحطيم تماثيلها والمطالبة برأسها وأخمد الحراس المظاهرة في حين هرعت هي إلى الإمبراطور تطلب منه حمايتها من أوكتافيا التي زعمت أنها قد أرسلتهم لقتلها وزعمت له أن "أوكتافيا

"كانت تخونه مع أحد الأشخاص وأنه هو الذي كان يقود الجماعة التي أتت للخلاص منها واستشهدت على ذلك بخادماتها اللاتى قام أعوان "بوبيا" بتعذيبهم أشد العذاب ليشهدن بذلك .

صدق الإمبراطور كذبتها - مكيدتها - منخدعا - أو عن رغبة منه - وأرسل إلى "أوكتافيا" ودعاها للحضور فأتت ووقفت أمامهما برأس شامخ وهو يأمرها أن تختار الطريقة التي تفضل أن تموت بها - كنوع من التكريم - لكنها حين رأت أن الأمور قد وصلت إلى تلك النهاية توسلت إليه أن يتركها تحيا بمنأى عنه لكنه أمر أحد حراسه أن يفصل رأسها عن جسدها لتأخذ دورها في طابور ضحايا مكائد "بوبيا" .

خلال القصر "لبوبيا" بعد أن تخلصت من زوجها ومن أم الإمبراطور ومن زوجته بالإضافة إلى من ذهب في الطريق خطأ - لتنفرد بالإمبراطور الذي ظل لها وحدها لعدة أشهر وهو الذي اشتهر بعربدته ونزواته النسائية وشعرت بوبيا بالاطمئنان وزادت سعادتها بتحرك الجنين الإمبراطورى في أحشائها ، ولكن تلك الفرحة لم تستمر طويلا فقد عاد نيرون إلى الابتعاد عن القصر والانغماس في الملذات مرة أخرى ولم تجد سوى الاستسلام للواقع .

كان بعض النبلاء موجودين في القصر وكانت تقضى وقتها معهم لكن أحدهم كان يحظى باهتمام ، وهو القائد ماركوس الذي حقق انتصارات كبيرة في فتوحات الشرق ، لكن القائد الشاب كان قد عشق فتاة من أسرى الليجيين وكان يصطحبها معه في كل الحفلات التي يحضرها ورغم علمها بما يمكن أن يحدث إذا علم الإمبراطور بما يدور في نفسها ولو ظنا إلا أنها لم تنس قدرتها على تدبير المكائد .

أرسلت "بوبيا" إلى "ماركوس" ولم يكن ليتأخر عنها ، فقد أتى مسرعا وانحنى محييا فأشارت إليه بالجلوس إلى جوارها ، ثم أشارت

لأحد العبيد أن يملأ كأسه ونظر القائد حوله وهو ينبهها أن الإمبراطور سوف يغضب إذا علم بذلك ، لكن "بوبيا" ردت في دهاء:

– إن نيرون لم يعد إمبراطور قلبى وكفاه أن أرضى كبرياءه وأتملقه ، أما أنت أيها القائد المنتصر ، فكم أحب أن أهزمك .

يبدو أن مكائدها لم تكن تخفى على أحد فقد استطاعت قبل دخولها القصر القضاء على كل منافسيها وهذا ما دفع ماركوس أن يرد عليها قائلا:

– وتفعلي معى كأنثى العنكبوت التي تأكل ذكرها عندما لا تجد ضرورة!!

فردت عليه بخبث تعنيه:

– ستكون ذا ضرورة دائما . . إلا إذا سحرتك فتاتك الليجية مرة أخرى ، ساعتها سأعرف كيف أنتقم منك ومنها .

كانت الديانة المسيحية قد بدأت في الانتشار في روما آنذاك وكان المؤمنون بها يفرون إلى المقابر والكهوف هربا من بطش الإمبراطور – الذي لا يعرف شيئا عن الدين الجديد – وحاشيته الذين كانوا يطاردونهم ويعذبونهم ويحرقونهم والسبب أنهم قد انصرفوا إلى عبادة إله الدين الجديد وما عادوا يعبدون الإمبراطور ، وكانت الجارية الليجية التي يعشقها القائد "ماركوس" ضمن هؤلاء الذين اعتنقوا المسيحية وهو ما جعل "بوبيا" تحرض الإمبراطور على الانتقام من كل المسيحيين والقضاء عليهم ليخلوا لها قلب "ماركوس" وهي نفس الطريقة التي استولت بها على "نيرون" .

استمر الدين الجديد في الانتشار و "نيرون" عاجز عن القضاء عليهم بعد أن شحنته "بوبيا" ضدهم فقرر إحراق روما بما فيها من مسيحيين لينشئ روما جديدة لا يعبد فيها إله غيره كما أوعزت إليه "بوبيا"

بـذلك ، وبالفعل أحرق "نيرون" روما ووقف هو و"بوبيا" يشهدان ألسنة اللـهب تندلع في روما سبعة أيام . وكان ذلك عام (٦٤ م) لتختفى روما القديمة من الوجود .

شـعرت بوبـيا أنهـا حققت انتصارا جديدا اعتقادا منها أنها تخلصت مـن الفـتاة الليجـية الـتي يعـشقها "ماركـوس" وأنهـا بذلك قد أصبحت خـياره الوحـيد ، لكـن فـرحتها لم تكـتمل لأن "ماركوس" نفسه كان قد فـارق القـصر بعد أن اعتنق المسيحية وازداد غيظها أكثر حين علمت أنه قد أنقذ حبيبته الليجية من النيران .

لم يـصدق الـناس زبانـية الإمـبراطور الـذين حاولـوا إقـناعهم أن الإمـبراطور ليس وراء حرق روما ، وازداد الغضب واشتعلت الثورة ولم يـستطع الحرس الوقوف في وجه الجماهير الغاضبة وجلس نيرون وبوبيا وكـبير حـرص القـصر الـذي كان أول من أشعل النار في روما للتشاور والبحث عن مخرج .

الغـريب أن المخـرج كـان بمكـيدة مـن مكائـد "بوبيا" أيضا ، فالناس يطالـبون بالانـتقام ممـن أحـرق مدينـتهم ولابـد مـن وجود كبش فداء ، ورأت أن تـضرب عـصفورين بحجر واحد بالخروج من المأزق والانتقام مـن حبيـبها الـذي غـدر بها وعشقيته التي فضلها عليها فأشارت عليهم بـأن يكـون "ماركـوس" هـو كـبش الفـداء ويخبرون الناس بأنه هو الذي أحـرق المدينـة وهـرب هـو وبعـض معاونـوه ، وبـدؤوا تنفـيذ فكـرتهم بالقـبض علـى مـئات المـسيحيين وإلقـائهم في سـاحات المصارعة لمنازلة الأسـود والـنمور والكـلاب الجائعـة ثـم يـنهالون علـى مـن بقـى منهم بالـسياط بعـد تعلـيقهم على صلبان خشبية مثبتين أطرفهم فيها بالمسامير دون أن تأخذهم بهم رحمة ليتمتع الإمبراطور وبوبيا بمشهد تعذيبهم .

لم يقتـنع الـناس بـبراءة الإمـبراطور وعـادت الـثورة للانـدلاع مـن

جديد ، وكان الرد هذه المرة السرقة والنهب والضرائب الباهظة بحجة إعادة بناء روما ، ولم يطق الشعب صبرا ، فانطلق الناس يهاجمون القصر ولم يمنهم الحرس وشعر الإمبراطور الطاغية بقرب النهاية ، فانطلق يجرى في القصر كالمجنون من قاعة إلى أخرى حتى وصل إلى غرفة نومه فحاول الاختباء بها وأغلق بابها خلفه ، لكن "بوبيا" لحقت به إلى الغرفة فأدرك وهو يرى الموت يلاحقه أنها كانت السبب في كل ما حدث له ولروما فازداد هياجا وصاح فيها:

– ألا زلت هنا أيها الشيطانة؟ أين أمى؟ أين زوجتى؟ أين عرشى وعاصمتى؟ كلهما راحوا بسببك أنت يا "بوبيا" ولم يعد يبق سواك ، أنت التي حرضتنى على قتل المسيحيين وجلبت كل هذه المصائب والويلات .

وانهال عليها ضربا وركلا حتى سقطت جثة هامدة هي وجنينها ، وكانت الجماهير الثائرة تواصل زحفها داخل قاعات القصر بحثا عن الإمبراطور الهارب وزوجته ، وكان الحرس قد انضموا إلى الثوار ، وحين دخلوا القاعة التي بها غرفة النوم ورأوا الإمبراطور فطاردوه وداسوا في محاولة اللحاق به جثة الإمبراطورة وجنينها وكان بعضهم يركلها بقدمه شفاء لغليله لتنال جزاء مكائدها .

* * *